مفـاهيم مشـابهة لعلم اللغة النصي عند العرب

عائشة علي صالح إبراهيم*

ملخص البحث

الحمد لله العلي القدير، المنزه عن الشبيه والنظير، صاحب الفضل العليم الكبير، وصلى الله تعالى وسلم على رسوله البشير النذير، وعلى آله وصحبه ذوى الدرجات العلى والقدر الخطير.
تعد المدرسة النصية من أحدث المدارس التي ظهرت في القرن الماضي، وهي كغيرها من المدارس التي سبقتها تهتم بالتحليلات اللغوية للغة، إلا أنها تختلف في تعديها للجملة إلى النص باعتباره الوحدة اللغوية الك
ركزت اتجاهات البحث اللغوية النصية على الكشف عن الشروط النحوية التركيبية لتماسك النصوص، وعلى وصف العلاقات الدلالية في النص؛فتجاوزت قراءة النص قصدية منشئه لتستكشف أبعاداً أخرى بعد التفسير والتحليل المنبثق من سياق النص ، والمتمثلة في سلاسل وتراكيب وتكافؤات دلالية لتشكل البناء الكلي للنص الذي يوصف بأنه تتابع متماسك من علاقات لغوية , ومركبات لغوية لا تدخل تحت أية وحدة لغوية أشمل، فإن نحو النص الذي صار يتطور تطورا سريعا وجد مجالا خصبا في تطبيق إجراءاته على النصوص .

يقدم البحث دراسة نصية مقارنة بين علم اللغة النصي عند الغرب، وبعض المفاهيم المشابهة عند العرب؛ فلا يمكن فصل القديم عن مواكبة ركب التطور، فيجب كشف اللثام عن الإسهامات القديمة والحديثة لتقديم نظرية متكاملة، فقد درس القدماء النصوص دراسة جزئية موزعة بين النحو والصرف , والدلالة , والنقد والبلاغة وغيرها، وهذه فكرة لا يقبلها علم اللغة النصي الذي يدمج تلك الدراسات في نص واحد لمحاولة النفوذ إلى ما وراء النص من عوامل معرفية ونفسية وعقلية واجتماعية، فعلم لغة النص لا ينغلق على نفسه وإنما يؤثر ويتأثر بالعلوم الأخرى كعلم النفس، وعلم الاجتماع وغيرها .

المقدمة

أضحى مفهوم النص منذ عقود قليلة من المفاهيم الأساسية التي أسهمت في فتح جداول جديدة في البحث، ومعلوم أن خصوبة هذا النوع من المفاهيم الفواتح إنما تقاس بما في ميادين البحث التي تفتحها من عمق وامتداد وشمول معرفي، فبعض الميادين التي انفتحت أبوابها في البحث اللغوي والبلاغي قد أشبع بحثاً، ومفهوم النص مفهوم فاتح لفضاء تساؤل في البحث اللغوي والبلاغي، وهو مفهوم حافز يدفع الباحث المشتغل بمسائل اللغة إلى التفكير في اتجاهين
الاتجاه الأول:يراجع فيه مأتم بناؤه في النظريات اللغوية والأنحاء القديمة .
الاتجاه الثاني : يبحث فيه، ويسعى إلى الإسهام في بناء نماذج توصف بها الظواهر التي يثيرها هذا المفهوم؛ فمسألة التراث لا يمكن أن تقطع من جهد البحث، أو الإسهام في بناء النماذج الحديثة التي تثيرها مسألة (تركب) النص والعلاقات النفسية بين الأجزاء المكونة له.

تشعبت تعريفات النص واختلفت مما أدى إلى صعوبة في تحديد تعريف متقارب مستخلص من تعريفات عدة، وسبب الصعوبة في تحديد تعريف موحد للنص هو اتصال النص بعلوم أخرى

*عضوهيئة التدريس بكلية الاداب /جامعة سبها

مثل: علم الآثار، وعلم الأدب، وعلم البلاغة والشعر والأسلوب، وعلوم النفس والاجتماع والفلسفة، وغيرها، ومن العلماء الذين عرفوا النص: كلاوس بينكر، وهارتمان، وريكور، وتودر وف، وهاليداي، وكوهين، وإيزنبرج، وفان دايك، وهاينه من، وهارفج، وسميث، حيث اختلفت تعريفاتهم حسب اتجاهاتهم وتوجهاتهم التي حصرت في :

يعرف النص بالنظر إلى المكونات (التراكيب النحوية).

يعرف النص بالنظر إلى دلالاته (المكونات الدلالية).

يعرف النص بالنظر إلى السياق التواصلي.

يعرف ديبوجراند النص بأنه تشكيلة لغوية ذات معنى تستهدف الاتصال، ويضاف إلى ذلك ضرورة صدوره عن مشارك واحد ضمن حدود زمنية معينة، وليس من الضروري أن يتألف النص من الجمل وحدها؛ فقد يتكون النص من جمل أو مفردات، أو كلمات مفردة ،أو مجموعات لغوية تحقق أهداف الاتصال"1" والنصعند سميث هو كل تكوين لغوي منطوق من حدث اتصالي، ومحدد من جهة المضمون، ويؤدي وظيفة اتصالية يمكن انضمامها. أي تحقيق إمكانية قدرة إنجازيه جلية يقصدها المتحدث. يدركها شركاؤه في الاتصال، ويتحقق في موقف اتصالي ما؛ حيث يتحول كم من المنطوقات اللغوية إلى نص متماسك"2" وعند برينكر تتابع متماسك من علامات لغوية لا تدخل تحت أية وحدة لغوية أشمل، وعرف هارتمان النص بأنه متوالية من الكلمات المنطوقة فعلا في اللغة؛ فالنصوص قد تكون نسخاً منقولة أو مادة مسجلة، أو تكون نتيجة تدوين عمل أدبي، أو قطعة من معلومات –نص رسالة مثلاً "3" ويقول بول ريكور: لنسم نصاً كل خطاب تثبته الكتابة، وعلى هذا التعريف يكون التثبيت بالكتابة مؤسساً للنص ....."4" وعلى الرغم من ذلك نجد أن هاليداي ورقية حسن يجعلان مفهوم النص شاملا المنطوق والمكتوب ؛ فيقولان : تستعمل كلمة النص في علوم اللغة للإشارة إلى أي مقطع منطوق أو مكتوب، مهما كان طوله ليشكل كلاً موحداً....."5" أما معنى النص عند العرب؛ فقد ورد في لسان العرب : النص رفعك الشيء, نص الحديث ينص نصاً: رفعه، وكل ما أظهر فقد نص ونصت الظبية جيدها: رفعته، ووضع على المنصة. أي على غاية الفضيحة والشهرة، والمنصة : ما تظهر عليه العروس لترى، ونصصت المتاع إذا جعلت بعضه على بعض .....وأصل النص أقصى غايته .....ونص كل شئ منتهاه"6" وكذا عرفه الرازي في قاموسه.

ورد في المعجم الوسيط: والنص هو صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف "7" يلاحظ من كل التعريفات للجذر (ن ص ص) المذكورة في المعاجم أنها تحيلنا إلى معان محددة وهي أن النص يراعي فيه الجانب الدلالي التوضيحي بالإظهار، وكذلك طول النص، والربط بين أوله، وآخره، ومراعاة المستمع وتماسك أجزاء النص، والتعريفات الاصطلاحية عند علماء العرب المحدثين كثيرة ومتداخلة ومتباينة؛ فقد ذكر الأزهر الزناد أن تعريف النص (مثل كل مركب تعريف أمر صعب لتعدد المعايير لهذا التعريف، ومداخله ومنطلقاته، وتعدد الأشكال والمواقع والغايات التي تتوافر فيما نطلق عليه اسم نص)"8" يرى الدكتور سعيد بحيري أن النص كل تترابط أجزاؤه، ونقل تعريفا للنص جامعا عن روبرت ديبوجراند وفلفان جديسلر: (أن النص حدث تواصلي يلزم لكونه نصا أن تتوفر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير: السبك أو الربط النحوي، الحبك أو التماسك الدلالي القصد أو هدف النص، القبول أو المقبولية، الإخبارية أو الإعلام)"9" يكمن التشابه في تعريف العرب للنص تعريفا لغويا وتعريف علماء لغة النص للنص في النواحي التالية:

1- الرفع يعني أن المتحدث أو الكاتب لابد له من إظهار نصه ليدركه المستمع أو القارئ .
2- الضم يعني ضم جملة إلى أخرى بروابط عدة.
3- النص إما منطوق، أو مكتوب، أو كليهما.
4- يراعى في النص الجوانب الآتية: الجانب الدلالي، والجانب التداولي، والتماسك، وجانب السياق، والجانب الوظيفي.

5- النص مدونة محدودة الحجم (الطول) ذات تواصل بين المنتج والمتلقي.

تتفق التعريفات تقريبا على أن علم اللغة النصي فرع من فروع علم اللغة يدرس النصوص المنطوقة والمكتوبة، وهذه الدراسة تؤكد الطريقة التي تنظم بها أجزاء النص، وترتبط فيما بينها، فعلم لغة النص دراسة لغوية لبنية النص، ويذكر نيلز أن علم لغة النص يعني– في العادة – الدراسة للأدوات اللغوية للتماسك النصي الشكلي والدلالي. مع تأكيده أهمية السياق وضرورة وجود خلفية لدى المتلقي حين تحليل النص "10" .

أما نحو النص؛ فهو ذلك النحو غير المنبث عن نحو الجملة من منطلق أن الجملة هي المكونة للنص، وأن مجال نحو النص هو ما تخطى حدود الجملة. أي تناول النص على أنه وحدة واحدة مع ملاحظة أنه ((ليس لأحد الاتجاهين أن يلغي الآخر؛ فالاعتراف بالنصية لا يلغي الدراسات التحليلية)) ويدرس نحو النص صفات التوظيف الاتصالي للنصوص بالإضافة إلى أبنية النص، ومن تم يوصف النص بأنه حدث تواصلي يختص بالقصد والمقامية والإعلامية والقنوات، ويشارك نحو الجملة في التماسك والسبك والحبك والانسجام، وهذا يؤكد عدم انفكاك نحو النص عن نحو الجملة.

يكتنف نحو النص إيثار الترابط النصي بأشكاله ووسائله المختلفة؛ حيث إن أشكاله تكمن في الترابط الرصفي، والترابط المفهومي. أما وسائله؛ فتكمن في إعادة اللفظ، والتضام، والتعرف، والإحالة، والاستبدال، والحذف، والربط المعجمي، وهو يؤدي في النهاية إلى التماسك، ومن المعروف أن النحو قد انطلق من نحو الجملة؛ لأن الجملة هي التي تم بهاتقعيد اللغة، وكذلك قوم بها اللسان في النطق، ومن تم كان الاهتمام بالقواعد التي تضمن سلامة الجملة بمستوياتها المختلفة، ومكوناتها الصوتية والصرفية والمعجمية، وانطلق البلاغيون من مباحث كثيرة في علم البلاغة من منطلق المعالجة النصية مثل: الإيجاز والوصل والفصل وغيرها. بل نظرية النظم نفسها أكدت التضام والاتساق بين الكلمة الأولى والثانية إلى نهاية المعنى المراد.

أما عمل المفسرين ؛ فكان أبرزه يدور على النظرة إلى النص القرآني كاملا ، فأكدوا التماسك الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي والمعجمي ، وكذلك التماسك النصي ، وأيضا أكدوا المناسبة بين حروف الكلمة الواحدة ، وكلمات الجملة الواحدة ، وجمل النص الواحد ، ونصوص القرآن كله، وهكذا.

إن مفهوم النص ليس بالغ القدم. غير أنه ترسخ منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين؛ حيث ترسخت بداياته الفعلية، ومع ذلك فقد عرفنا منذ زمن بعيد أن في الدراسات اللغوية العربية مصطلحات مشابهة لمصطلحات علم اللغة النصي. مثل (تحليل النص)و (تفسير النص) و (حدود النص)حيث كانت العناية بوصف النصوص وصفا ماديا بوجه خاص، ومن المصطلحات التي اتفقت معانيها عند العرب وعند النصيين ما يلي: التضام، والإحالة، والسياق والاتساق، والسبك والحبك، والانسجام، والتكرار، والتناص، هذا ما سيتم توضيحه في المباحث الآتية.

التماسك المعجمي:

التكرار هو أحد وسائل تحقيق الترابط اللفظي، ويقصد بالتكرار المعجمي في علم اللغة النصي الإعادة المباشرة للكلمات أو التعبيرات حيث يتشابه التكرار بين التراث العربي وعلم اللغة النصي؛ فقد غصت كتب النحو وكتب علوم القرآن واللغة والبلاغة بمعنى التكرار. علما بأن البلاغيين من أوائل الذين أولو التكرار اهتماما بالغا في إحداث الترابط والإيقاع الموسيقي والزخرفة اللفظية، وقد عد التكرار ضرورة يتطلبها التواصل والتفاعل بين المبدعين على أنه ليس إلغاء للأفكار السابقة، ولكنه يوصف بأنه فعل تواصلي وتوالدي وتداولي، ويرد التكرار في الكلمة الواحدة، وفي النص الواحد، وعده علماء النص وجه من وجوه الإحالة إلى سابق، والتي

من شأنها إحداث التماسك والربط بين الوحدات المكونة للنص؛ فالتالي يحيل على الأول؛ فينتج التماسك بينها وبين الجملة السابقة عليها، وتشمل على وحدته المكررة.
بين ديبوجراند دور التكرار في تدعيم التماسك النصي، ووضح في كتابه المشترك مع دريسلر وظيفة التكرار من أجل تحقيق العلاقة المتبادلة بين العناصر المكونة للنص، وقد فرقا بين نوعين من التكرار وهما: التكرار المباشر، والتكرار الجزئي، وقد لاحظ دريسلر في المسح الذي أجراه لتكرارات جزئية مماثلة أن وجود تعبير ما يمهد السبيل لجعل ما عداه من التعبيرات المناظرة نادرا، أو جديدا كل الجدة، ويلاحظ دريسلر ورود تعبيرات تظل دون تفسير حتى مرحلة متأخرة من النص. كما يمكن لتعبير لاحق أن يعتمد في تفسيره لا على تكرار اللفظ نفسه، أو جزء منه فحسب، ولكن على محتواه أيضا، " 11" وترى كريستسفا أن الوحدة المكررة لم تعد هي الوحدة السابقة نفسها، أو لا تتطابق تماما معها لدرجة أنه يمكننا القول بأنه في حال تكرارها قد أصبحت وحدة أخرى، وعلى هذا يكمن المسوغ لوجودها في بنية النص، ونجد محتواها قريبا من ذلك المحتوى، وهو تساؤل جون كوين في ما هية الفرق بين تلك الوحدتين، ويذهب إلى أن الإجابة عن هذا التساؤل لا تكمن إلا من خلال إدخال هذه الظاهرة الفينومينولوجية بالمعنى التأثيري والتي أطلق عليها الكثافة؛ فيمكن للكلمة أن تحتفظ بالمحتوى نفسه، ولكنها تتغير على مستوى الكثافة، فالكلمة المكررة أقوى من الكلمة (الوحيدة)"12" إذا عدنا إلى دراسات القدامى نلاحظ أنهم اهتموا بالتكرار من زاويتين: الأولى بين أكثر من مبدع؛ حيث التكرار في أكثر من عمل؛ فقد عد ضرورة يتطلبها التواصل بيت المبدعين، ينبئ عن أهمية الفكرة، ورغبة الفاعل في تحقيق الذات في ضوء قراءاته للآخر؛ فالمعاني تتوالد عن المعاني، والأفكار تسهم بشكل فاعل في إنتاج الأفكار الأخرى، فتتداخل النصوص. أما الزاوية الثانية؛ فهي النظر إلى التكرار في النص الواحد؛ فقد وجدت هذه الزاوية علاجا كبيرا من قبل البلاغيين أمثال ابن رشيق؛ فقد ناقش ابن رشيق التكرار من حيث جودته من عدمها؛ فثمة مواضيع يحسن فيها أخرى يقبح، وفي هذه الزاوية يدرس علم اللغة النصي بنية التكرار من منظور الأبعاد الثقافية والخارجية عن النص, كما يؤسس رؤيته من خلال البنية الكلية له.و الزاوية الأولى وضع لها القدامى شروطا ومعايير تجنبا لما يعرف بالسرقات الأدبية. كما يتطلب أمر قبول التكرار عند القدامى مراعاة أن يكون فيه زيادة معنى على المعنى السابق، أو إعادة صياغته بألفاظ أبلغ وأجزل ، وهذا كله يوازي نظرية تداخل النص أو التناص ، والتي تعني أن كل كلمة استعملت تملك تاريخ تداخلها الخاص مع غيرها من الكلمات، كما أن ظهور أية كلمة من الكلمات يعني إعادة انتشارها وتأويلها على مستويات أعلى، وكل كلمة في المعجم لديها هذه الإمكانية؛ فلا يوجد بهذا التصور نص مستقل؛ فكل نص هو نظام متكامل من العلاقات بينه وبين النصوص الأخرى الواقعة في مجاله الثقافي "13" وهذا ما يبين علاقة التكرار بالتناص، وتشابه مفاهيم القدامى مع مفاهيم علم اللغة النصي، وفي ذلك يشير الدكتور سعد مصلوح إلى أن كثيرا من وسائل الترابط التي يتردد ذكرها الآن في علم اللغة النصي عولجت في تراثنا النقدي والبلاغي؛ فيقول: (وجدير بالذكر أنك ربما وجدت هذه الظواهر بعضها أو جلها في التراث النقدي والبلاغي عند العرب أشتاتا، وفرادى لانصرافها إلى الشاهد والمثال والجملة، ولعل في التراث البديعي من الثراء والخصوبة من هذه الجهة ما يحفز الجادين من الباحثين إلى استفراغ وسعهم في إعادة تشكيل هذا العلم من منظور نصي)"14" عرف التضام بأنه (توارد زوج من الكلمات بالفعل، أو بالقول نظرا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك)"15" فبمجرد أن يذكر أحدهما يستدعي الآخر ويعرفه أولمان بأنه (الارتباط الاعتيادي لكلمة ما، في لغة ما بكلمات أخرى معينة) "16" وقد تنبه اللغويون العرب إلى ظاهرة التضام، واهتموا بعرض الألفاظ اللغوية مع مصاحباتها اللغوية والتي كانت عونا للأدباء والكتاب والشعراء في تلك العصور؛ فحدد ابن جني مجموعة من القيود والضوابط الخاصة بالتصاحب (القيود المعجمية) , وهذا التحديد تكلم عنه سيبويه في كتابه وكذلك الجاحظ، وعبد القاهر الجرجاني، وتشومسكي وهوبر، وذكر ابن جني قضية الاختلاف في النظم والتركيب وما ينشأ عنها من الاختلاف بين المعاني والأفكار، وأكد على المعنى الذي خرج به

فيرث من دراساته لهذا الموضوع، فعقد ابن جني بابين في الخصائص أطلق على أحدهما (قوة اللفظ لقوة المعنى), وثانيهما (إمساس الألفاظ أشباه المعاني) ذكر فيهما أن أي زيادة تطرأ على بنية الكلمة تؤدي إلى زيادة المعنى في السياق الذي ترد فيه، وأي انحراف عن الأصل يؤدي إلى معنى غير المعنى الأصلي للفظة المزيدة، وقد ذكر هذا أيضا من قبل الخليل بن أحمد وسيبويه . "17"

ومن المؤلفات التي درست موضوع التضام (الألفاظ الكتابية) للهمذاني، (وجواهر الألفاظ) لقدامة بن جعفر، و(إصلاح المنطق) لابن السكيت، و(فقه اللغة) للثعالبي، و(الفروق اللغوية) لأبي هلال العسكري، والناظر في هذه المصنفات يرى أنها تضم ثروة لغوية ضخمة من الألفاظ والعبارات والجمل روعي فيها اختيار ما يلائم اللفظ من ألفاظ أخرى يحسن أن ترافقه، وهي كتب – كما قال الدكتور محمد عبد العزيز – منبعا لا ينضب لطالبي المصاحبات اللغوية، وتحدثوا عن ضرورة التوافق بين الألفاظ في الاستعمال, كما أنهم جعلوها حدا في التفرقة بين الألفاظ المترادفة كما فعل أبو هلال العسكري في كتابه (الفروق اللغوية) مما يؤكد أن العلماء العرب السابقين كان لهم السبق في إدراك هذه الظاهرة واستيعابها، وإن لم يطلق عليها أحدهم مصطلح التضام، أو المصاحبة اللغوية,"18"كما أشار اللغويون العرب في كثير من الأحيان إلى موضوعات تتعلق بالتضام "19" فمثلا بينوا أهمية إعادة الترتيب، واستخراج معنى المعنى، والعلاقات القائمة بين عناصر ظاهر النص، ودرس اللغويون العلاقات الرابطة بين الفقرات، وبين نص ونص آخر، ودرسوا المصاحبات اللغوية التي قد تكون بالتضاد أو الترادف، أو الكلية، أو الجزئية، وكذلك العلاقات النسقية مثل التعارض، وطبق أغلبهم تلك العلاقات على القرآن الكريم؛ فمثلا في تحليلهم للآية التي يقول الله تعالى فيها { قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير }"20" نجد تراكيب واحدة لأفعال أو أحداث مختلفة متضادة، ولكن وحد بينها جهتا الفاعل (المولى عز وجل) والمفهوم (المشيئة الإلهية) , وكذلك تعرضوا في تحليلهم للآيات إلى الأشكال البديلة لتعبر عن حادث أو موقف، ومن ذلك ما ورد في الآيتين التاليتين:

الأولى : { يأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون }"21"

الثانية : { ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو أخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليلا منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا }"22" فالفعل (يفعل) في الآية الأولى متلوا بذلك الذي ألف شكلا بديلا هو يفعل ليحل محل (لا) تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله. كما نجد الشكل البديل لا(يفعل) متلوا بضمير الهاء في الآية الثانية .

وقدم هاليداي ورقية حسن مثالا وضحا فيه التضام ودوره في السبك المعجمي: لماذا يتلوى هذا الولد الصغير طوال الوقت؟ البنات لا تتلوى.فكلمة (البنات) هنا ليس لها المرجع الذي لكلمة (الولد) في الجملة الأولى، ومن ثم ليس بينهما علاقة تكرار معجمي، ورغم ذلك تبدو هاتان الجملتان من سبكتين، فما الفاعل في هذا السبك؟ الفاعل – حسبما ذكر هاليداي، ورقية حسن – هو وجود علاقة معجمية بين لفظي(الولد) و (البنات) هذه العلاقة هي علاقة التضاد فثمة أزواج من الألفاظ متصاحبة دوما؛ بمعنى أن ذكر أحدهما يستدعي ذكر الآخر، ومن ثم يظهران معا، وهذا يسمى (المصاحبة اللغوية) أو التضام، وذكر هاليداي ورقية حسن بعض من العلاقة الرابطة بين زوج من الألفاظ متعددة الأشكال ، مثل :

أ–التباين.

ب– الدخول في سلسلة مرتبة.

ج– علاقة الكل للجزء، وعلاقة الجزء للجزء.

د – الاندراج في صنف عام .

التماسك التركيبي:

يعد الاستبدال صورة من صور التماسك النصي التي تتم في المستوى النحوي بين كلمات أو عبارات، ووجه الشبه بين الاستبدال في علم اللغة النصي، والبدل في النحو العربي يكمن في وجود علاقة بين المبدل والمبدل منه؛ حيث يترك أثرا وهو وجود أحد عناصر الاستبدال.

هرع المحدثون إلى كتاب (التماسك في الإنجليزية) لكل من هاليداي ورقية حسن؛ فقسموا الاستبدال إلى: استبدال اسمي، واستبدال فعلي، واستبدال قولي وتجدر الإشارة إلى ثمة وعى بذلك لدى القدماء العرب؛ فقد قام النحو العربي – على الرغم من عدم استيعابه كل اهتمامات نحو النص؛ لأنه نحو جملة – أمورا مشابهة للاستبدال بصوره الثلاث في مباحث في أبواب النحو ينبغي أن يبحث عنها كل من يسعى لتأسيس منهج عربي من عمق جذور لغتنا العربية وتاريخها وإبداعها، ومن الأمور المشابهة للاستبدال الاسمي في العربية هو كثرة وجود (آخر، آخرون آخرين، أخرى، نفس، .....) في جمل العربية، وإعرابها بدلا مما قبلها، وبيان العلاقة الوثيقة بين المبدل والمبدل منه، ومن ذلك آيات سورة التوبة: { وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم } { وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم }
"23"فآخرون مرجون معطوف على وآخرون اعترفوا، وتأويل ذلك العطف { وآخرون اعترفوا } أي ومنهم من اعترفوا يقصد الأعراب وبعض أهل المدينة.

يعد الحذف واحدا من العوامل التي تحقق التماسك النصي، وهذا ما أكده هاليداي ورقية حسن إذ أفردا له قسما من كتابيهما؛ حيث ذهبا إلى أن الحذف يكون من اليمين ..... ويتحرك دائما ليكون في الكلمة الأخيرة "24" ومفهوم اليمين في الجملة الإنجليزية هو ما يؤكد اتفاق النحاة العرب مع الغربيين في موضع الحذف، وقد عقد هاليداي ورقية حسن مقارنات كثيرة بين الحذف الفعلي، والحذف الاسمي، وعرفه كريستال بالمعنى الاصطلاحي بأنه حذف جزء من الجملة الثانية، ودل عليه دليل في الجملة الأولى، ومثال ذلك: أين رأيت السيارة؟ في الشارع"25" فالمحذوف من الجملة الثانية: رأيتها ووضح ابن هشام أن المحذوف كونه ثانيا أولى. وذكر هاليداي وحسن مثالا للحذف هو: (محمد) اشترى بعض الكتب، و(علي) بعض قطع الحلوى فإعادة كتابة المثال:محمد اشترى بعض الكتب، وعلي (.....) بعض الحلوى 1 2 3 4، 1 2 3 4.

فالمكان الخالي الذي بين القوسين في الجملة الثانية يعد – من وجهة نظرهما – صفرا ؛ لأنه خال من الكلام، ومن ثم فهناك إبدال بين اشترى التي في الجملة الأولى، والصفر أو المقدر في الجملة الثانية، وهنا تبرز العلاقة التماسكية بين الجملتين، ومن هذا النمط في النحو العربي ما ذكره سيبويه: (وذلك قولك إذا رأيت رجلا متوجها وجهة الحج قاصدا في هيئة الحاج؛ فقلت: مكة ورب الكعبة، حيث قصدت أنه يريد مكة. كأنك قلت: يريد مكة والله، ويجوز أن تقول: مكة والله، على قولك: أراد مكة والله) "26" والتحليل النصي لهذا المثال: التركيب الذي فيه حذف ..... التركيب بعد إعادة المحذوف.(.....) مكة ورب الكعبة
..... يريد مكة ورب الكعبة. والربط من وسائل السبك النحوية في النص وهو معيار يختص برصد الاستمرارية المتحققة في ظاهر النص، ونعني بظاهر النص الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني، والتي نخطها أو نراها بما هي كم متصل على صفحة الورق، وهذه الأحداث أو المكونات ينتظم بعضها مع بعض تبعا للمباني النحوية الموجودة على سطح النص، ولكنها لا تشكل نصا إلا إذا تحقق لها من وسائل السبك ما يجعل النص محتفظا باستمرار يته "27" لم تخل دراسات العرب من إدراج مصطلح السبك، حيث

استعمله البلاغيون العرب في دراسة الوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرار اللفظي في باب الفصل والوصل، ودرس علماء اللغة القدامى الروابط بأنواعها، وعلى رأسهم سيبويه؛ فقد وردت إشارات إلى ما يتعلق بالربط من وسائل تؤدي وظيفة الربط عند سيبويه؛ حيث قال عند حديثه عن تعلق الكلام بعضه ببعض: وسألت الخليل عن قوله عز وجل في سورة الروم الآية 36{ وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون } فقال: (هذا كلام معلق بالكلام الأول كما كانت الفاء معلقة بالكلام الأول، وهذا هاهنا في موضع قنطوا. كما كان الجواب بالفاء في موضع الفعل)وهذا يعني أن الكلام مرتبط بالأول؛ فهو حديث عن الربط دون استخدام المصطلح "28" وابن هشام الذي أفاض في بيان الروابط "29" ومن علماء علوم القرآن الذي ذكر الروابط وأهمية الرابط السيوطي الذي أكد بأن (المناسبة في آيات القرآن الكريم إنما تتحقق بوجود معنى رابط بينها، عام أو خاص، عقلي أوحسي، أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين) موضحا أن فائدة هذا النوع من الربط (جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم) "30" ومن أنواع الربط في علم لغة النص الربط الخطي، ومن أنواعه: الفصل والوصل والإتباع ، وقد شاع مصطلح الوصل والفصل في التراث العربي ؛ فقال الزركشي: (وهو فن جميل، وبه يعرف كيفية آداء القرآن ويترتب على ذلك فوائد كثيرة، واستنباطات غزيرة، وبه تتبين معاني الآيات ويؤمن الاحتراز في الوقوع في المشكلات) ووجدت مصطلحات مشابهة للوصل والفصل في كتب النحو والتفسير والبلاغة باسم: (الوقف والابتداء) و (القطع والابتداء) و (القطع والوصل) وخص الجرجاني الفصل والوصل باب سماه: (القول في الفصل والوصل، وأدوارهما، وإجراءاتهما في كلام العرب، شعرها ونثرها) كما أكثر من إيراد الشواهد القرآنية التي توضح ما يذهب إليه من آراء في مبحث الوصل والفصل؛ فدرسه ضمن أصول نظرية النظم، ودرس فيه عطف النسق، وتحدث عن الوصل والفصل انطلاقا من القاعدة النحوية إلى أن تحدث عن اتصال المعنى في وحدة كاملة تتعدى الجملة الواحدة إلى الجملتين أو أكثر خاصة في الوصل، وهذا ما نجده عند قراءة كتابه في (الاتصال إلى الغاية) و (الانفصال إلى الغاية) "31"

التماسك الدلالي:

يعد الحبك الممثل للعلاقات غير الخطية الموجودة بين المعاني في النص؛ إذ يرى ظاهر النص وكأنه خال من رابط يربط بين أجزائه، فإذا بعلاقات الحبك تقوم بهذا الدور ليصبح النص نصا متماسكا متلاحم الأجزاء، وهذا المعنى يلتقي مع كون الحبك هو الشد؛ فعلاقات الحبك تقوم بشد أجزاء النص، وربطها سويا؛ ولأن هذه العلاقات معنوية وجب أن تكون محكمة متقنة حتى يستطيع المتلقي فهمها وقبولها، وهو معنى المحبوك " ما أجيد عمله " أو هو " المحكم الخلق "، ودخل علم لغة النص مع علم الدلالة التقليدي الذي يبحث في المعنى وظواهره العامة في اللغة وبالرغم من أن هذه العلاقة بين الفرعين قد تأخذ صورة التداخل، فإنهما يختلفان في حد كبير في المنهج، ووحدة الدراسة "32" وكان لكثير من علماء العربية إسهامات في دراسة الحبك بما فيه من علاقات ومفاهيم، وذلك في المجالات المختلفة مثل مجال التفسير والبلاغة، والنقد الأدبي وعلوم القرآن، وغيرها، وفي مقدمة هؤلاء عبد القاهر الجرجاني في مبحث الفصل والوصل، وهذا ما يؤكد علماء النص المحدثون؛ فمثلا تقول الدكتورة عزة شبل: (مما لاشك فيه أن جهود علماء العربية لم تتوقف عند الجرجاني في بحث مسائل الفصل والوصل، وإنما وجدت إسهامات طيبة على المستوى البلاغي ، والنقد الأدبي ، وعلوم القرآن . مما يحتاج إلى قراءة التراث العربي،ورؤية مدى إمكانية الاستفادة من تلك المنجزات في ضوء تحليل الخطاب)"33" أشار القدماء إلى أن الصياغات الإدراكية للمفاهيم، وبنية أنماط العلاقات بينها قد تفرض عليها ترتيباً معيناً، ونظاما تحكمه التجربة الإنسانية، والمواقف الواقعية فيؤدي ذلك إلى قيام نوع من التفاعل

المتناغم بين المفاهيم، والواقع الذي يحكم مسارها، ويحدد العلاقات التي تسري بينها، والمعاني المقصودة من البدائل المختلفة التي تدل عليها، هذه الإشارات تكلم عنها ديبوجراند في دراسته للحبك، وأشار إليها القدماء دون تركيز أو تحديد؛ فنجد مثلا ابن قيم الجوزية أفرد بابا مستقلا للانسجام بدأه بقوله: (وهو أن يأتي الكلام سهل المساق، عذب المذاق، حسن الاتساق، منحدرا في الأسماع كتحدر الماء المنسجم) "34"، ثم مثل له ببعض الآيات التي جاءت منسجمة حسب رؤيته، وحدد القدماء عملية اختيار المفاهيم عن طريق ارتباطها بالذاكرة والخبرة، فالذاكرة بمثابة السجلات الخاصة لتخزين خبرة الأفراد والجماعات، والخبرة هي المعارف والطرق التي تمكن من استخدامها والاستفادة منها. ولشدة العلاقة بين هذين الأمرين أطلق عليها فولفانج (الذاكرة العرضية والذاكرة الدلالية) يعني بالأولى سجلات الخبرة الخاصة، والثانية الأنماط المستخدمة في ترتيب المعرفة، وفي تلك الذاكرتين تكلم القرطاجني في منهاجه "35" تتبع اللغويون القدامى والمحدثون العلاقات التي تقع بين الألفاظ في دلالتها على المعنى وخلصوا إلى أن أهم هذه العلاقات: علاقة السببية وما يشبهها كالإتاحة والتسويغ والغاية والقرب المكاني والقرب الزماني وعلاقة الحضور العيني أو الذهني واستدعاء الند، وعلاقات الارتباط النحوي كالفاعلية والمفعولية والمعية والإضافة وعلاقات الحقول الدلالية. وقد وقف كثير من المفسرين والمصنفين في علوم القرآن وعلم الأصول عند تلك العلاقة، وقد تابع علماء لغة النص الغربيين العلاقات الدلالية التي تسري داخل النصوص، والتي تجمع بين المفاهيم المختلفة، فمثلا يرى كل من هاينه من وفيه فيجر أنه (لم يعد الآن يقدر اتساق (حبك) النصوص من خلال ظواهر النص. بل يبحث عنها في أبنية الأساس الدلالية ويقدمان مجموعة من العلاقات تصلح لعلم دلالة علائقي مفترض. وهي: وصل، عطف سببية, شرطية، تعاقبية اعتراضية ختامية، زمنية، كيفية، مقارنة استدراكية إضرابيه، وتشمل وسائل الحبك كما يرى ديبوجراند العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص، معلومات من تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف، والسعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية. وحدد فان دايك العلاقات الحابكة في: السببية والزمنية، والإبدالية، والمقارنة، والتضمين، ويشتمل النص الواحد – كما يرى فان دأيك – على الأبنية الكبرى باعتبار أن لكل وحدة من وحداته بنية كبرى وتتدرج هذه الأبنية الكبرى في النص الواحد من حيث العموم والشمول وصولا إلى البنية الأعم الأشمل.أي الدلالة العامة أو الكلية للنص. قد تعددت تسميات الباحثين للسياق؛ فهو الموقف عند الدكتور محمود السعران، والموقعية عند إلهام أبو غزالة، وعلي أحمد، وأطلق عليه الدكتور كمال بشر المسرح اللغوي، وأطلق عليه الدكتور تمام حسان المقام، وسماه الدكتور عبد الرحمن أيوب بالظروف الكلامية، ويلاحظ أن كل المسميات السابقة وإن اختلفت فهي تحمل معنى واحد اً يتمثل في (العالم الخارجي عن اللغة بما له صلة بالحدث اللغوي، أو النص) ويتعلق بالظروف الاجتماعية والنفسية والثقافية؛ فيدخل في السياق المتكلم والمخاطب والمحيط الثقافي، وما يتصل به .

البلاغيون العرب أول العلماء الذين توسعوا في دراسة السياق وتحديد الدلالة، فقد لاحظوا منذ القدم ظاهرة السياق من خلال مقولتهم (لكل مقام مقال) مضافاً إل(لكل كلمة مع صاحبتها مقاماً) فربطوا فكرة الصياغة بالسياق، وأصبحت مقاييس الكلام في باب القبول والحسن بحسب مناسبته لما يليق به. أي (مقتضى الحال) والكلام في نظرهم يحتاج إلى عنصرين أساسيين كي تتضح الدلالة في أجزائه. هما: المقام والسياق.كان المفسرون يحتكمون إلى السياق في تفسير ما يتوهم من تعارض بين نصين أو أكثر، ومن ذلك ما أورده الشوكاني في قوله – عز وجل – { وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون } "37" من أن هذه الآية الشريفة واردة في سؤال خاص كما يفيد ذلك السياق المذكور قبل هذا اللفظ وبعده، وأن أكثر المفسرين على أنها نزلت على رد المشركين لما أنكروا الرسول بشراً، وهذا هو المعنى الذي يفيده السياق "38" التفت الأصوليون إلى المعنى الذي يفيده السياق المقالي، وأدركوا وجوب خضوعه لمجموعة من الضوابط اللغوية التي تحكمه من حيث ترتيب الوحدات داخل

السياق، وعلاقات هذه الوحدات بعضها ببعض وفقاً لعرف أهل اللغة، ذلك العرف الذي وضع لكل لفظ معنى، وحدد للتركيب نظاماً محكماً تعارفوا عليه؛ فأخذت الوحدات داخل التركيب بحجز بعض، وأدركوا أن الفهم لا يستقيم إلا بمراعاة هذا العرف "39"؛ ففي ضوء قرينة العرف فهم الأصوليون من قوله تعالى: { فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره } "40" أن الإنسان سيثاب عن كل ما زاد على ذلك المقدار.....فالمعنى المفهوم من قرينة العرف اللغوي إذن هو جزء من المعنى، أو بعض المعنى الذي يفيده السياق المقالي؛ لأنه من مقتضيات هذا السياق ولوازمه. وقد أوضح ابن جني عندما عرض الروايات اللغوية ومشاهدة اللغويين لرواتها وأثرها في تحديد الدلالة مع الالتفات إلى أن تلك المعاني التي سجلها الأوائل هي أقرب إلى الصحة والدقة لأنهم شاهدوا أحوال أصحابها ."41" نقل الزركشي عن ابن دقيق العيد قوله: (السياق مبين للمجملات مرجع لبعض المحتملات، ومؤكد للواضحات؛ فلينتبه لهذا ولا يغلط فيه، ويجب اعتبار ما دل عليه السياق والقرائن، لأن بذلك يتبين مقصود الكلام) "42"ومن الذين أشاروا إلى السياق وأثره في تبيين الدلالة، وتحقيق الانسجام للنص الواحد: ابن القيم الجوزية، والعز بن عبد السلام"43"قدم علماء اللغة المحدثون أفكاراً وممارسات سياقية متميزة فاستعملوا أغلب المصطلحات التي استعملها الأوائل وذلك لضمان عدم التعسف في تحميل آراء العلماء القدامى ما لا تحتمل، أبرزوا جهودهم في وضع المصطلحات الدلالية.

عنى فان دايك في مؤلفه (النص والسياق) بتطوير تداولية أفعال الكلام عن طريق توجيهها من مجال الجملة كما كانت عند جون أوستن إلى مجال النص (فعل الكلام النصي) "44"

يرى كلاوس برينكر أن السياق يؤدي دوراً كبيراً في تحديد نوع النص ذلك أن أنواع النص هي نماذج سائدة عرفياً لأفعال لغوية مركبة يمكن أن توصف بأنها روابط نمطية في كل منها بين سمات سياقية (موقفية) ووظيفية – تواصلية وتركيبية (نحوية – موضوعية) ومثل فيرث قمة النظريات المستقلة التي تتحدث عن السياق؛ فيقول: (إن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة الدلالية. أي وضعها في سياقات مختلفة) "45"، وقد جعل (أولمان) مفهوم السياق لا يقف عند الجمل والعبارات، بل يتعدى ذلك ويشمل النصوص والكتب الكاملة، ويقول: (وكلمة السياق استعملت حديثاً في عدة معان مختلفة، والمعنى الوحيد الذي يهم مشكلتنا في الحقيقة هو معناها التقليدي (أي النظم اللفظية للكلمة وموقعها من تلك النظم) ومعاني هذه العبارة إن السياق على هذا التفسير ينبغي ألا يشمل الكلمات والجمل السابقة واللاحقة فحسب، بل والقطعة كلها والكتاب كله أيضاً "46"

وفي ختام العرض علي التنبيه بأن هناك مصطلحات أو مفاهيم أخرى مشابهة في معناها للمفاهيم الواردة في علم اللغة النصي منها:- تقسيم العرب للكلم واختلافهم في التقسيم، واتفاقهم على ضم الكلم إلى بعضه شبيه بفكرة التضام بمفهومه الخاص.

– الروابط التي تصل بين كلمات الجمل أو النصوص من نوع مسند ومسند إليه واسم الإشارة والصفات، وحروف العطف، والضمائر هي نفسها الروابط النصية المؤدية إلى تماسك النص.

– فكرة الغرابة التي درسها حازم القرطاجني في منهاج البلغاء وسراج الأدباء هي نفس الفكرة التي درسها النصيون تحت عنوان الإعلام أو الإعلامية.

– ورد الحذف مفصلا عند ابن هشام في كتابه مغني اللبيب عن كتب الأعاريب وفي خصائص ابن جني، وعند السيوطي في الإتقان في علوم القرآن، وسيبويه في الكتاب، والمبرد في المقتضب، والفراء في معاني القرآن."47"

- عقد الجاحظ (255هـ) حديثاً عن التنافر والسبك، ورأى أن من ألفاظ العرب ما يتنافر. كما رفض التماثل الذي يؤدي إلى اللبس، وتكلم عن السبك؛ فقال: (أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء. سهل المخارج فيعلم بذلك أنه أفرغ إفراغاً جيداً وسبك سبكاً واحداً.....) "48" واستعمل

مصطلحاً قريباً من مصطلح التقارن وهو (القران) الذي يعني بشد الأبيات إلى بعضها في قصيدة الشعر، وذلك بربط المعنى وحسن المجاورة بين المعاني المتناسبة في البيت.
– تكلم ابن جني (392 هـ) عن الحذف بشكل واسع في الخصائص ووضح أنواعه ومراتبه وتكلم عن التقديم والتأخير، والحمل على المعنى، وأفرد باباً في تجاذب المعاني والإعراب، وهذا شبيه بالربط والتضام،وأدوات التماسك الخارجية والداخلية."49"
- دار أكثر مفهوم نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني (471 هـ) حول مفهوم التضام، يقول: (..... وأما نظم الكلم؛ فليس الأمر فيه كذلك؛ لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني وترتبها على حسب ترتب المعاني في النفس، ..... والفائدة في معرفة هذا الفرق أنك إذا عرفته عرفت أن ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل ..... بعد أن ثبت أنه نظم تعتبر فيه حال المنظوم بعضه من بعض ..... لا نشك في أن لا حال للفظة مع صاحباتها تعتبر إذا أنت عزلت دلالتها جانباً) "50 " كما أن له مصطلحات قريبة من التقارن، وذلك عند إطلاقه (المعاني النحوية) على جمعه لعلم البلاغة مع علم النحو.
– أنتج ابن هشام الأنصاري (761 هـ) مادة غزيرة قريبة من المرجعية والقبلية والبعدية وترتبط بمواضع وجوب وجود الرابط، والأشياء التي تحتاج إلى رابط؛ فقد ذكر تحت عنوان (روابط الجمل بما هي خبر عنه) عدة روابط تشتمل على أغلب الروابط التي ذكرها علماء النص في العصر الحديث"51"

الخـــاتمـــة

وبعد؛ فهذه خلاصة ما تقدم ذكره في الصفحات السابقة عن علاقة التراث العربي بعلم اللغة النصي؛ فهما متفقان في دراسة صوتية متمثلة في الصيغ، وكذلك دراسة تركيبية لدراسة وظائف النحو، وربط الجمل والأبيات بصور مختلفة. إضافة إلى الاستعمال الدلالي والتداولي .

الصلة بين البلاغة العربية وعلم اللغة النصي وثيقة إلى حد كبير، ويؤكد هذه الصلة دراسات البلاغيين السابقين الذين اهتموا بقضايا الفصل والوصل، والتماسك بين الفصول، وهذا لا يدفعنا إلى القول بالعلاقة بين علم اللغة النصي والبلاغة العربية بأنهما ينصهران في بوثقة واحدة؛ حيث إنهما يختلفان في المنهج والأدوات والتحليل والأهداف.

كما تبين بعد الدراسة السابقة نتائج مهمة ختم بها البحث، وهذه الخلاصة نتجت من منظور نصي مقارن يمكن إجمالها في:
أكدت الدراسة أسبقية العرب القدامى في تطبيق بعض ما يتعلق بجوانب علم اللغة النصي، وبناء على ذلك لا يوجد جديد في أغلب تطبيقات علم اللغة النصي؛ لأن مثلها موجود عند العرب؛ فقد خاض القدامى في علوم نصية لم تستقر تسميتها إلا في منتصف القرن العشرين، واتضح كذلك من الدراسة السابقة للموضوع انه من الممكن ترجمة أية لغة إلى لغة أخرى بشرط اتفاق، أو تشابه المفاهيم أثناء التطبيق، وهذا يدل على أن هناك وجوه تشابه بين اللغات يحاول العلماء البحث عنها، والاهتداء إليها، ووضع الفرضيات المختلفة لها مع توضيح الاتفاق، أو السمة المشتركة بين نقلة علم اللغة النصي إلى اللغة العربية، وتطبيقه عليها بعد اختيار وصياغة المصطلحات العلمية الجديدة، وتتمثل في الكلمات الصحيحة، وإن لم توجد انتقل إلى التعريب، ولهذا يتفاءل جل الدارسين لعلم اللغة النصي الذين استطاعوا تطبيقه على علوم اللغة العربية – بقصد توظيفه في تحليل النص – ونشر قواعد ذلك العلم بعد تطويعها للعربية أن يسهم هذا البحث وغيره في تدريس اللغة العربية بسهولة؛ لأن جملها تحتوي على كلمات وعبارات يوجد بينها علاقة ارتباط تركيبي، ومجموعة من القواعد التي يحدث بعضها تغيرات في الجملة.

يجب تتبع جهود النحاة والمفسرين واللغويين النصية وحصرها؛ لإثبات أنهم عنوا بالنص واهتموا به – وإن لم يكن النحو العربي نحو نص بالمفهوم الحديث – فقد أدركوا علم النص بإسهاماتهم الواضحة في دراسة القرآن الكريم والشعر؛ فبدأ الاهتمام بالنص الأدبي منذ نشأة علم الأسلوب الذي اشتق من البلاغة القديمة، ولعبت الأسلوبية مع البلاغة القديمة دور المبشر بعلم لغة النص إلى توسيع مجال علم اللغة ليتجاوز حدود الجملة؛ فيمتد من علم لغة الجملة إلى علم لغة النص، ويدخل ما قدمه النحو العربي في هذا الشأن في باب التماسك أو السبك أكثر من غيره، وذلك عند دراستهم للعطف والإحالة والإشارة؛ حيث زاد عليها علماء لغة النص الحذف والوصل وأدوات المقارنة. من أجل ذلك نرى أنه على الباحث في علم اللغة النصي إقامة دراسة تطبيقية وفق خطته لدمج خلاصة النظرة العربية والنظرة الغربية.

توصي الدراسة بالخروج من دائرة الترديد النظري إلى التطبيق العملي لعلم اللغة النصي على النصوص العربية بأنواعها (القرآني والنثري والشعري منها) وهو ما يترتب عليه القول بأنه لا ينبغي النقل الحرفي من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية. بل ينبغي أن يردف ذلك بما يقابله في العربية طبقاً لبناء اللغة، وعليه توصي الدراسة بوضع قواعد يتفق عليها علماء لغة النص لتحليل النصوص يتناسب مع طبيعة النص العربي، ويمكن من خلالها بناء نص متماسك يتواصل بين المنتج والنص والمتلقي والجوانب الأخرى المساعدة في التحليل النصي.

وأخيراً إننا إذا أردنا فعلاً نظرية لغوية عربية حديثة؛ فإنه يمكننا أن نستفيد من النظرية العربية بمناهجها المتعددة ثم من النظرية اللغوية القديمة بنماذجها المختلفة أيضاً، وذلك لكي نضع نظرية عربية حديثة تعطي رؤية مختلفة في المنطلق وفي الهدف، وذلك لكي تسهم في فهم اللغة العربية فهماً عميقاً دقيقاً، وتسهم أيضاً في اندماجها تكنولوجياً. لنساهم في بناء الحضارة"52"

الهوامش

1- مدخل إلى علم لغة النص – تطبيقات لنظرية ديبوجراند ولفجان جديسلر– إلهام أبو غزالة، علي خليل أحمد – الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة الأولى – 1999م – ص9.

2– البديع لبن البلاغة العربية واللسانيات النصية – جميل عبد الحميد – الهيئة المصرية للكتاب – الطبعة الأولى – 1998 م – ص 70 .

hartmen – r - r – k – and f – c – stork – dictionary of language – 3 2 – p 41and linguistics – applied since – published – London – 328

4– ريكور يول – من النص إلى الفعل – ترجمة محمد برادة وحسان بورقية – مؤسسة عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية – القاهرة – الطبعة الأولى – 2011 م – ص 105.

cohesion in English – holiday m – a – k – and rugaya –5 Hassan – longmanlst – pubnewyork – 1976 p p10

6- لسان العرب – ابن منظور – تحقيق عبد الله الكبير، محمد أحمد حسب الله – دار المعارف – مصر – د – ط ، ت – مادة (ن ص ص)

7- المعجم الوسيط - مجموعة من علماء مجمع اللغة العربية – د ، ت –ج2 – ص 926 .

8 – نسيج النص – الأزهر الزناد – المركز الثقافي العربي – لبنان – بيروت – الطبعة الأولى – 1993 م - ص 11 .

9 – علم لغة النص – المفاهيم والاتجاهات – سعيد بحيري – الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان – القاهرة – الطبعة الأولى – 1998 م – ص 146 .
10 – نقلاً عن البديع بين علم البلاغة العربية واللسانيات الحديثة – ص 35 .
11 – ينظر مدخل إلى علم اللغة النصي – فولفانج هاينه وديترفي هفيجر–ترجمة فالح بن شبيب العجمي – نشر جامعة الملك سعود – الطبعة الثانية – 1999 م -86 .

12 – نقلاً عن: التكرار وتماسك النص (قصائد القدس لفاروق جويدة نموذجاً) - جودة مبروك محمد – مكتبة الآداب – القاهرة – الطبعة الأولي – 2008 م – ص 27 ، 28 .

13 –ينظر: فاعلية التكرار في بنية الخطاب الشعري للنقائض –نمط خاص من الوعي بالآخر – عبد الفتاح يوسف – مجلة فصول – ع 62 – 2003 م –ص30 إلى ص 45.

14 –نحو آجرومية للنص الشعري – سعد مصلوح – مجلة فصول – المجلد العاشر – العدد 1 ، 2 – 1991 م – ص157 .

15 – لسانيات النص – نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري – أحمد مداس – عالم الكتب الحديث – إربد – الأردن – الطبعة الأولى – 2007 م – ص 25 .

16 – علم الدلالة – أحمد مختار عمر – مكتبة العروبة للنشر والتوزيع – الكويت – الطبعة الأولي – 1982 م – ص 74 .

17 – ينظر الخصائص – ابن جني – تحقيق محمد علي النجار – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – الطبعة الرابعة – 1999 م – الجزء الأول – ص 152إلى ص 154 ، وص 223 – والجزء الثالث – ص 267 ، وص 268 – وينظر سر صناعة الإعراب – ابن جني – تحقيق حسن هنداوي – دار القلم – دمشق – الطبعة الأولى – 1985 م – الجزء الأول – ص 37 إلى ص 39 .

18 – المصاحبة في التعبير اللغوي – محمد حسن عبد العزيز – دار الفكر العربي – الطبعة الأولى – 1990 م – ص 12 .

19 – تمت ترجمة المصطلح collocation إلى عدة مصطلحات؛ فترجمها الدكتور صبري السيد بالتضام، يوجد مؤلف بعنوان (التضام في الجملة البسيطة) وكذلك استعمل الدكتور محمد أبو الفرج المصطلح باسم المصاحبة وتبعه في ذلك نخبة من اللغويين العرب في معجمهم مصطلحات علم اللغة الحديث في حين ترجمها آخرون باسم التوارد أو الانتظام والتتابع، والقرائن اللفظية .
20 – سورة آل عمران – الآية 26.

21 – سورة المنافقون – الآية 9.

22 – سورة النساء – الآية 66 .

23 – سورة التوبة – الآيات 101 ، 102 ، 106 .

24 – cohesion in English - p 4 – p 13 – p 173 – p 226

25 – ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق – دراسة تطبيقية على السور المكية – صبحي إبراهيم الفقي – دار قباء للنشر والتوزيع – القاهرة – الطبعة الأولى – 2000 م – ص 199 .

26– ينظر : النص والخطاب والإجراء – ديبوجراند – ترجمة تمام حسان – عالم الكتب – القاهرة – الطبعة الأولى – 1998 م – ص 301 .

27 – ينظر : نحو آجرومية للنص الشعري – سعد مصلوح – ص 154 ,

28 – الكتاب – سيبويه – تحقيق عبد السلام هارون – مكتبة الخانجي – القاهرة – الطبعة الثالثة – 1988 م – المجلد الثالث – ص 63 ،64 .

29 – ينظر : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب – ابن هشام الأنصاري – تحقيق مازن المبارك – دار الفكر – بيروت – لبنان – 1992 م – ص 463 .

30 – الإتقان في علوم القرآن – السيوطي – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار التراث – القاهرة – د. ط . ت – والهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – 1974 م – الجزء الثاني – ص 977 ، ص 978 .

31 – البرهان في علوم القرآن – أبو عبد الله محمد الزركشي – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – مكتبة دار التراث – القاهرة – الطبعة الثالثة – 1941 م – الجزء الأول –ص 417، ودلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني – تحقيق وقراءة محمود شاكر –مكتبة الخانجي بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة – الطبعة الثالثة – 2000 م - ص160 .

32 – اللغة والإبداع الأدبي – محمد العبد دار الفكر للدراسة والنشر والتوزيع – القاهرة – الطبعة الأولى – 1989 م – ص 34 .

33 – علم لغة النص – النظرية والتطبيق – عزة شبل – مكتبة الآداب – القاهرة – الطبعة الأولى – 2007 م – ص 191 .

34 – ينظر : النص والخطاب والإجراء – ص 186 إلى ص 190 .

35 – إعراب القرآن الكريم وبيانه – محي الدين الدويش – دار الإرشاد للشؤون الجامعية – حمص – سوريا – الطبعة الثامنة – 2001 م – المجلد الثالث - ص 435 .

36 –ينظر إلى مدخل علم لغة النص – ص 31 ، 32 .

37 – سورة النحل – الآية 43 .

38 – ينظر : القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد – محمد بن علي الشوكاني – تحقيق عبد الرحمن عبد الخالق – دار القلم – الكويت – الطبعة الأولى –1977 م – ص 139 .

39 – ينظر : البحث الدلالي عند الأصوليين – محمد يوسف حلبص – عالم الكتب – القاهرة – الطبعة الأولى – 1991 م – ص 52 .

40 – سورة الزلزلة – الآية 7 ، وينظر البحث الدلالي عند الأصوليين – ص 52 .
41 – للاستزادة ينظر الخصائص – ج 3 - ص 248 .

42 – البحر المحيط في أصول الفقه – بدر الدين الزركشي – تحقيق محمد محمد تامر – دار الكتب العلمية – بيروت – د . ط - 2000 م – ص 367 .

43 – بديع الفوائد – ابن قيم الجوزية – تحقيق محي الدين عبد الحميد – مطبعة السعادة – القاهرة – الطبعة الأولى – 1969 م-ص 109 - والموافقات في أصول الشريعة – أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي –تحقيق عبد الله دراز – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى – 1991 م – ص 151 ، ص 390 ، ص 310 ، ص 391 .

44 – النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي) فان دايك- ترجمة عبد القادر قنيني – أفريقيا الشرق – المغرب – الطبعة الأولى – 2000 م – ص 13 ، وص 258 .

45 – ينظر : علم الدلالة – أحمد مختار عمر – من ص 56 إلى ص 70 ، والسياق ودلالته في توجيه المعنى – فوزي إبراهيم – رسالة دكتوراه – جامعة بغداد – كلية الآداب –1996 م –ص 23 إلى ص 34 .

46 – دور الكلمة في اللغة – استيفن أولمان – ترجمة كمال بشر – مكتبة الشباب – القاهرة – الطبعة الأولى – 1992 م – ص 34 ، وص 60 ، وص 100 .

47 – للاستزادة ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق – صبحي إبراهيم الفقي – دار قباء للنشر والتوزيع – القاهرة – الطبعة الأولى – 2000 م – الجزء الثاني – ص 13 وما بعدها ، وينظر البديع بين البلاغة واللسانيات النصية – ص 84 وما بعدها .

48 –البيان والتبيين – الجاحظ – تحقيق عبد السلام هارون – مكتبة الخانجي – القاهرة – 1975 م – الجزء الأول – من ص 65 إلى ص 70 .

49 – ينظر : الخصائص – الجزء الثاني – من ص 140 إلى ص 202 ، وص 459 .

50 – دلائل الإعجاز – ص 49 ، ص 52 ، ص 373 ، ص 380 .
51 – ينظر : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب – المجلد الثاني – ص 101 وما بعدها .